ومن الجائز أن نفهم (تظن) هنا على معنى التوقع والحسبان كما يرى أبو حيان ولنقرأ تفسيره بقية الآيات، لنرى فهمه للسياق كاملاً، يقول[1] «(وقيل): مبني للمفعول. فاحتمل أن يكون القائل حاضروا المريض، طلبوا له من يرقى ويطبُّ ويشفي، وغير ذلك مما يتمناه له أهله، قاله ابن عباس و. . . وهو استفهامٌ حقيقةً.

وقيل: هو استفهام إبعاد وإنكار، أي قد بلغ مبلغًا لا أحد يرقيه، كما عند الناس: من ذا الذي يقدر أن يرقي هذا المشرف على الموت. قاله عكرمة وابن زيد. واحتمل أن يكون القائل الملائكة؛ أي من يرقى بروحه إلى السماء، أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، قاله ابن عباس و. . . وقيل: إنما يقولون ذلك لكراهتهم الصعود بروح الكافر لخبثها ونتنها، ويدل عليه قوله بعد: ﴿فلا صدَّق ولا صلَّى﴾، و﴿ظنَّ﴾ أي المريض، ﴿أنه﴾ أي ما نزل به، ﴿الفراق﴾ فراق الدنيا التي هي محبوبته. والظن هنا على بابه. وقيل فراق الروح الجسد».

لكننا نظن (الظنَّ) هنا على غير بابه، لأنه إن كانت الروح قد بلغت التراقي واستُبْعدَ وجود الراقي، فلابد أن الإنسان في هذه الحال، قد أدرك بل علم واستيقن أنها آخَر ساعة وهي ساعة الفراق، «فراق الروح والجسد أو فراق محبوبته الدنيا. . .» أو كلاهما معًا.

فتضافُرُ الجملتين ﴿بلغت التراقي، وقيل من راق﴾[2] واستحالة النجاة، يجعلنا كل هذا نميل إلى وجاهة معنى اليقين هنا في لفظ الظن، وهي ساعة لا يخطئها إنسان، إذ يكون أقرب إلى الآخرة فيها منه إلى الدنيا.

وفي الحديث الصحيح ما يدل على أنَّ كل إنسان يعرف مصيره في تلك الساعة. وأما الظن الأوَّل (رقم ٣ من المجموعة)، فما يزال الوجهان فيه متنازعان، إلا أننا لا نستطيع إغفال السياق الموضوعي، والصورة الكاملة العامة في القرآن بكل تفاصيلها المسوقة فيه والموزعة على أجزائه، صورة حال الكافرين يوم البعث، وتفاصيل هذه الصورة تؤكد أنهم سيكونون على علم تام بمصيرهم وعاقبة أمرهم ﴿ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾[3] فلماذا يستمر تنازع الوجهين، والنص نفسه في سياقه الكلي وقراءته المتصلة يقدم لنا الجواب أو يفصل في هذا النزاع في موضعٍ آخر، ذلك أنهم: سيعلمون علم اليقين، ليرون الجحيم، وليرونَّها عين اليقين!

---

(١) نفسه: ص٣٥١ وبعدها.
(٢) القيامة: ٢٦-٢٧.
(٣) المطففين: ١٧.